الصراع الأمريكي الإيراني
فخ إيران: عندما يتحول الحسم الأمريكي إلى إنتحار إستراتيجي

أحمد زكريا الخنسا*

مقدمة: أربعة عقود من التناقض

لأربعة عقود، وأمريكا وإيران تخوضان حرباً لا تشبه أي حرب في التاريخ. وهي مسالمة بالقدر الكافي لتجنب القيامة. هذا هو التناقض الجوهري الذي يحدد أطول صراع في الشرق الأوسط المعاصر: صراع لا يعلن، ولا ينتهي، ولا يحسم.

هو الاستنزاف في أنقى صوره: معركة من ألف جبهة، لا تهدف إلى إسقاط الخصم، بل إلى إرهاقه حتى يسقط من التعب، وإقناعه بأن الثمن الذي يدفعه للبقاء في اللعبة أعلى من أي مكسب يمكن أن يحققه.

لا جبهات محددة، ولا معاهدات سلام، ولا انتصارات معلنة. لكن الدماء تُراق، والأراضي تحُتَل وتحُرر، والاقتصادات تنهار، والثروات تُنهب. إنها حرب تدار بالوكالة والاصل في لبنان وسوريا والعراق واليمن، وبـ العقوبات في البنوك والسفن التجارية، وبـ الاغتيالات في الشوارع والمختبرات، وبـ السرديات في الإعلام وقلوب الملايين.

في هذه المقالة، سنقرأ هذه الحرب بعيون مختلفة: ليست كصراع بين جيشين، بل كطاحونة استنزاف عملاقة، لا أحد يخرج منها منتصراً، ولكن من يستطيع تحمل الألم أطول قد يخرج حياً.

أولاً: القوة العسكرية – إدارة لا حسم (مفارقة الأقوى)

في أي صراع تقليدي، الجيش الأقوى ينتصر. وفي أي حرب استنزاف، **الجيش الأقوى هو أول من يُستنزف**. أمريكا تمتلك أحدث طائرات الشبح وأضخم أساطيل حاملات الطائرات، وإيران لا تملك حتى سلاحاً جوياً حديثاً. ومع ذلك، لم تنتصر أمريكا، ولم تهُزم إيران. لماذا؟ لأن أمريكا تدرك أن أي حرب شاملة مع إيران لن تكون حرب الخليج الثالثة، بل ستكون "**مستنقعاً**" آخر. وإيران تدرك أن المواجهة المباشرة مع أمريكا ليست حرباً، بل **إنتحار متبادل**. وهكذا، وُلدت "**حرب**

(*) باحث لبناني في الشؤون الاستراتيجية

العتبة المنخفضة " : حرب لا حرب، سلام لا سلام.

حاملة الطائرات: عبء باهظ، أم هدف ثمين؟

حاملة الطائرات الأمريكية (من فئة نيميتز) كلّفت ١٣ مليار دولار لبنائها، ومليار دولار سنوياً لتشغيلها. وتحتاج ٥,٠٠٠ بحار وطيار، وحوالي ٧٠ طائرة حربية.

في مواجهة إيران، تحولت إلى " ونيسترا ثقيلة " : تكلفة نشرها في الخليج ٢,٥ مليون دولار يومياً، ويكفي تهديد إيراني بإطلاق صاروخ باليستي لترغم أمريكا على تفعيل أنظمة دفاع باهظة (صاروخ اعتراضي واحد من طراز "قياسي-٦" يكلف ٥ ملايين دولار). القوة المطلقة تتحول إلى عجز مطلق عندما يصبح الحفاظ عليها مكلفاً للغاية.

القاعدة العسكرية الأمريكية: التحصين الدائم، أم النزيف البطيء؟

منذ ١٩٩١، يتمركز ٤٠,٠٠٠ جندي أمريكي في قواعد خليجية بتكلفة ٦ مليارات دولار سنوياً. الجنود يعيشون في " قلاع ذهبية " ، يدركون أنهم أهداف لأصغر صاروخ إيراني. الانتحار بين العسكريين الأمريكيين في الشرق الأوسط تضاعف ثلاث مرات بين ٢٠١٠ و٢٠٢٠ .

القاعدة العسكرية لم تعد أداة لفرض الإرادة، بل أصبحت رهينة للإرادة الإيرانية: لأن إيران لا تحتاج إلى إجلائها عسكرياً، بل تحتاج فقط إلى جعل بقائها " مكلفاً بلا فائدة " .

الجيش الإيراني: الضعف المطلق، أم القوة الموزعة؟

ان الميزانية العسكريةالايرانية ١٠مليارات دولار والميزانية العسكرية الامريكية ٨٥٠ مليار دولار اي ٥٨ ضعفا.ولا يملك الجيش الإيراني أسطولاً بحرياً، ولا قوة جوية استراتيجية. ولكنه يمتلك قدرة على تحويل الضعف إلى مصدر إزعاج لا ينتهي. مقرات الحرس الثوري في قلب المدن، ومنشآت تحت الأرض محفورة في الجبال، وأكثر من ١٠,٠٠٠ صاروخ باليستي ومجنح. ومبدأ التشغيل: " **نحن لا نحتاج إلى إصابة الأهداف؛ نحتاج فقط إلى استنزاف دفاعاتك حتى تنهار** " . هذا هو " **الردع بالاستنزاف** " : لا تهدد بسلاح خارق، بل هدد بكارثة متوسطة الحجم ولكنها طويلة الأمد.

الاستنزاف بالوكلاء: معركة باخموت بالوكالة

في اليمن، يتلقى الحوثيون صواريخ إيرانية رخيصة (تكلفة الصاروخ ٥٠,٠٠٠ دولار). السعودية تنفق ٥٠٠ مليون دولار شهرياً على العمليات العسكرية هناك. في العراق، الميليشيات الشيعية تطلق قذائف هاون على السفارة الأمريكية، كل هجوم يزيد الضغط السياسي داخل أمريكا لسحب القوات. في لبنان، حزب الله

يستعـرض صواريخه الدقـيقة، وإسرائيل تعلم أن أي حـرب ستكون "**إسـتنزافاً متبادلاً**". إيران لا تريد إجلاء أمريكا بقوة، بل تريد إرهاقها حتى تنسحب طواعية.

قانون تناقص العائد العسكري في الأرقام

الولايات المتحدة

الإنفاق الدفاعي السنوي	٨٥٠ مليار دولار
القوات المنتشرة	٤٠,٠٠٠ جندي
عتبة تحمل الخسائر البشرية	منخفضة (أقل من ٥٠٠٠ قتيل)
تقييم فاعلية الاستنزاف	متوسط

إيران

الإنفاق الدفاعي السنوي	١٠ مليارات دولار
القوات المنتشرة	١٥٠٠٠٠(حرس ثوري)
تقييم فاعلية الاستنزاف	عالية (أكثر من ١٠٠٠٠٠)

سيناريو الهجوم الشامل: الانتصار التكتيكي، الكارثة الاستراتيجية

لقد شنت أمريكا هجوماً شاملاً، ثم ردت إيران بصواريخها على القواعد الأمريكية ، وارتفعت أسعار النفط . النصر العسكري مستحـيل لم يعد سيناريو ممكنا. امريكا لم تـتمكن مـن الانتصـار على ايران. لـذا، تختـار "**إدارة الاستـنزاف**" بـدلاً من "**خوض الحسم**".

ثانياً: استشراف الحرب (قبل وقوعها)

من مجلة "شؤون الأوسط" –العدد ١٦٠، ٢٠١٩

في ذلك التحليل الاستشرافي، كتبت محذراً من أن الحرب مع إيران لن تكون "نزهة"، وأنهـا ستتحول إلى مستنقع جديـد يجعل معارك العراق وأفغانسـتان تبدو بسيطة بالمقارنة. وأشرت إلى أن:

الأزمة الحالية مـع إيران هي نتيجة استخبارات خاطئة، ورغم ذلك فإنّ البلاد تتجه نحـو الحرب بسـبب الهوس غير العقلاني طـويل الأمد مع إيران الـذي يهيمن على أذهـان بعض مستشـاري ترامب الأقرب، وتحـديداً مستشـار الأمن القومي جون بولتون، ووزير الخارجية مايك بومبيو .

وأوضح الكاتب أن مثل هذه الحرب قد تفيد بعض حلفاء أمريكا المزعومين في الشرق الأوسط؛ مـثل المملكة العربـية السعوديـة، إلا أنها لن تحقق شيئـاً للموقف العالمي للولايات المتحدة على المدى الطويل .

وأشار إلى أنّه عنـدما غزت الـولايات المتحـدة العراق، في عام ٢٠٠٣، بـدأت قيادة الصين تتحدث ببهجـة عن "فترة الفرص الاستراتـيجية" المدهشـة التي استمرت

عقدين، حسّنت فيها الصين من قوتها النسبية بينما الولايات المتحدة أهدرت قوتها، والآن، ربما تكون أمريكا على وشك ارتكاب نفس الخطأ مرة أخرى، ولكن على نطاق أوسع ،ومع الأخذ بعين الاعتبار أن إيران يبلغ حجمها وعدد سكانها ثلاثة أضعاف العراق، وأن قواتها العسكرية هائلة للغاية، فليس من الممكن ببساطة أن تكون الحرب مجرد نزهة، فحتى لو كان الصراع قصيراً فإن كارثة القوة الناعمة ستُلحق الضرر بالمكانة الدولية للولايات المتحدة، ومن المرجح أن يصبح الصراع مستنقعاً جديداً يجعل المعارك العسكرية في العراق وأفغانستان تبدو بسيطة بالمقارنة .

ومما يزيد الطين بلة أن الصين وروسيا يمكنهما بسهولة تقديم دعم مادي لإيران في أي نزاع مع منافسهما الأميركي، و ذلك عبر شبكة سهلة الاستخدام من روابط البنية التحتية التي تبنيها الصين عبر آسيا الوسطى كجزء من حزامها وطريقها .

وبينّ الكاتب: "إذا تركنا جانباً جميع الأسباب الأخرى فإن مثل هذا الصراع من شأنه أن يُضعف الموقف الجيوسياسي الأميركي تجاه الصين في أسوأ وقت ممكن، ما سيؤدي إلى إنقاص وتقليل القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة أمام الصين التي تنمو بسرعة " .

ولفت إلى أن "استراتيجية الدفاع" الأمريكية خلصت إلى أن "المنافسات الاستراتيجية طويلة الأجل مع الصين وروسيا هي الأولويات الرئيسية" للدفاع القومي الأميركي، مبيناً صراحة أن "المنافسة الاستراتيجية بين الدول، وليس الإرهاب، هي الآن الشاغل الرئيسي في الأمن القومي للولايات المتحدة " .

هل يمكن الانتصار في الحرب ؟

ان ايران دولة قوية وذات مساحات واسعة ووعرة وهنالك استحالة للسيطرة البرية عليها ، والضرب الجوي لوحده لا يحسم الحرب . واذا ساعد الروس والصينيين الايرانيين فستصاب القوات الاميركية بخسائر بشرية ومادية لا تقوى على تحملها ، والاهم لترامب ان الصدام يعني زيادة الالتزام الاميركي بابقاء القوات الاميركية لفترات طويلة في المنطقة (هذا في حال عدم هزيمته في الحرب) وهو بحاجة لهم في داخل اميركا في المرحلة القريبة المقبلة .

ما هو مردود ضربة عسكرية اميركية من وجهة النظر الاميركية؟

ان ضربة عسكرية اميركية ضد ايران ستؤدي الى رد فعل ايراني يلهب المنطقة يضع اميركا امام خيارين : الانسحاب من المنطقة او الدخول في حرب شاملة قد يعرف الجميع كيف تبدأ ولا يعرف احد سيعلم كيف ستنتهي . الاهم من كل ذلك هل الاقتصاد الاميركي قادرعلى تحمل حرب كبرى ؟

ماذا سيحدث بعد انتهاء المعركة؟

ان لم تستسلم ايران سريعا(اشك كثيرا بحدوث ذلك)فهذا سيؤدي الى الخروج الاميركي من المنطقة مهما كانت نتيجة الحرب (اذ ان اي حرب مع ايران ستؤدي الى فرض عالم متعدد الاقطاب وبداية العصر الصيني ، وفي هذا العالم الجديد الشرق الاوسط والخليج ليسا من حصة اميركا(دعوة ترامب الدول التي لها ناقلات نفط الى ارسال قواتها الى الخليج لحماية ناقلاتها . ان هذا القرار هو محاولة لتحمية الصراع بين الطامحين لخلافة اميركا في المنطقة ، الذين هم حاليا متحالفين للصراع ضد اميركا) فهل ستخوض اميركا الحرب في منطقة وهي تعلم انها ستخرج منها عاجلا ام آجلا؟.

الزمن والاقتصاد – استنزاف طويل

الزمن كسلاح: الميتافيزيقا المنسية

في صيف ١٩٧٩، اجتاحت الثورة الإسلامية طهران، وتوقع الجميع أن تنتهي القصة خلال أشهر. وبعد خمسة وأربعين عاماً لم يسقط النظام. وهذه ليست معجزة، بل نتيجة تحويل الزمن إلى سلاح.

أمريكا تعيش زمن "**الاستهلاك السريع**"، فهناك دورة انتخابات كل أربع سنوات، مع ضغط إعلامي فوري، وعتبة تحمل منخفضة. وبالنسبة لإيران فهي تعيش زمن "**المقاومة البطيئة**": نظام أيديولوجي لديه ثقافة انتظار المهدي، مع عتبة تحمّل عالية جداً. وكلما إزداد ضغط أمريكا زادت صلابة إيران.

الفارق بين "زمن القائد" و "زمن النظام"

الولايات المتحدة مرت بـ ١١ رئيساً منذ ١٩٧٩، كل رئيس يبدأ من الصفر، ويحتاج سنوات لفهم التعقيدات، ثم تنتهي ولايته. أما إيران فقد مرّت بـ بمرشدين أعلى فقط، وبقي النظام متماسكاً: عقيدة واحدة، استراتيجية واحدة. لذلك يمكن القول أن: "**زمن النظام**" الإيراني أثبت قدرته على تحمل "**زمن القادة**" الأمريكيين.

الانتظار كسلاح: قصة الرد المؤجل

عندما اغتالت أمريكا قاسم سليماني (يناير ٢٠٢٠)، انتظرت إيران ٥ أيام، ثم أطلقت ٢٢ صاروخاً باليستياً. لماذا الانتظار؟ لأن إيران تريد إطالة أمد "**الانتظار المرعب**". ففي كل يوم من الصمت كان يزيد من توتر القوات الأمريكية، ويضاعف كلفة الاستعداد. فالرد المؤجل أكثر إيلاماً من الرد الفوري.

نقطة التحول الزمنية

لكل طرف عتبة زمنية. إيران لم تصل عتبتها بعد، لكنها قد تأتي فجأة مع تفاقم الأزمات الاقتصادية. أمريكا قد تصل عتبتها عندما يدرك الناخب أن تكلفة المواجهة

مع إيران تفوق أي فـائدة ويبدأ الـتصدع الاقتصـادي، وتنهار الهيبـة الامريكية. السـؤال الذي لا يزال بلا إجـابة: أيهما سيحـدث أولاً؟ انهيار إيـران الداخلي تحت وطأة الزمـن الطويل، أم تآكل الإرادة الأمـريكية تحت ضغط الـزمن القصير؟ قبل الهجـوم الاميركي–الاسرائيلي على ايـران كان وضع الامبراطـورية الامـريكية في انحدار وبعد الصراع تسارع الانحدار بشكل خـطير مما يؤكد ان الهيمنة الامريكية على العالم يتجه الى الانتهاء .السؤال الان متى؟

اقتصاديات الاستنزاف الطويل

إيران بـرعت في استخـدام "**النفس الـطويل**" لاستـنزاف الصـبر الاستراتيجي الأمريكـي ومقاومة العقـوبات الغربيـة، بينما حاولـت أمريكا اسـتخدام "**الزمن الاقتصادي**" لـتفتيت الداخل الإيـراني. فمنذ ١٩٧٩، فـرضت أمريكـا حزمة من العقوبات المالية والتجارية على إيران، تحولت إلى "**حصار شامل**".

آليات الخنق التراكمي:

•إخراج إيران من نظـام "**سويفت**" (٢٠١٢، ٢٠١٨) جعل التحـويلات المالية تستغرق شـهوراً.

•انخفاض صـادرات النفط من ٢,٥ مليـون برميل يـومياً (٢٠١٧) إلى أقل من ٣٠٠ ألف برميل (٢٠٢٠)، وخسائر تجاوزت ٢٥٠ مليار دولار.

•حرمان إيران من شراء الطائرات التجارية ومعدات النفط وأحدث أدوات الطب.

العقوبات كسيف ذو حدين:

•ارتفاع أسعار النفط العالمية يضرب المواطن الأمريكي.

•الصين وروسيا تشتريان النفط الإيراني بخـصومات، وتستثمران في قطاعات الطاقة.

•إيران ابتكـرت آليات للتحايل: أسطول نـاقلات "ظل"، ومقايضات نفط بسلع وذهب، وعملات مشفرة.

اقتصاد المقاومة الإيراني: فن البقاء تحت الحصار

•الاكـتفاء الذاتي الـنسبي: ٨٥٪ من الـقمح محلي، ٩٥٪ من الأدوية الأسـاسية تُصنع محلياً.

•اقتصاد الظل: تهريب النفط يدر ١٠–١٥ مليار دولار سنوياً.

•توزيع الألم: دعم حكومـي للسلع الأساسية يمنع الانـفجار الشعبي، وخطاب "المقاومة" يحوّل الأزمة الاقتصادية إلى حرب نفسية.

تكلفة أمريكا: الإمبراطورية المتعبة

•التكاليف العسكرية المباشرة: ٥–١٠ مليار دولار سنوياً إضافية.

•خسارة الأسواق للشركات الأمريكية لصالح شركات صينية وروسية.
•إضعاف الدولار: تحالفات العملات البديلة تنتشر في العالم.
•استقطاب داخلي: كل أزمة جديدة مع إيران تظهر انقساماً عميقاً في السياسة الأمريكية.

من يربح؟: إيران تدفع نسبة أعلى من دخلها القومي، لكن قابليتها للتحمل أكبر. أمريكا تدفع نسبة أقل من دخلها القومي، لكنها تمل بسرعة.

السيناريو الأكثر ترجيحاً: استمرار الجمود الاقتصادي. ستفلس أمريكا، وستخرج من الشرق الأوسط تدريجياً. ولن تزدهر إيران طالما تحاصرها امريكا، لكنها ستبقى دولة صامدة.

ثالثاً: الطاقة والتكنولوجيا – ساحات المستقبل

حروب الطاقة والموارد

مضيق هرمز: الممر الذي يختنق به العالم

٢٠٪ من إمدادات النفط العالمية، و٣٠٪ من الغاز المسال، و٣٠٪ من الاسمدة تمر عبر مضيق هرمز. عرضه ٣٣ كيلومتراً فقط، ويقع ضمن النطاق البحري الإيراني. إيران لا تحتاج إلى إغلاقه، بل تحتاج فقط إلى جعله غير آمن.

آلية الاستنزاف الإيرانية:

•الزوارق السريعة: مئات الزوارق المزودة بصواريخ خفيفة. هجوم واحد كل ستة أشهر يرفع أقساط التأمين ٣٠٠٪.
•الألغام البحرية: سلاح رخيص يعطل الملاحة لأسابيع. هجمات ٢٠١٩ استخدمت ألغاماً لاصقة، وأوقفت الإبحار ورفعت أسعار النفط ٢٠٪.
•الصواريخ المضادة للسفن: ترسانة من صواريخ "نور" و"قادر" و"خليج فارس" تتمركز على الجزر الإيرانية المتنازع عليها.

الرد الأمريكي: الأسطول الخامس في البحرين (٥٠ سفينة، ١٥,٠٠٠ جندي، ٢ مليار دولار سنوياً). لكن إيران لا تريد مواجهة بحرية مفتوحة، بل تريد "إرهاق الأعصاب".

سلاح النفط: من صدمة ١٩٧٣ إلى حرب الإنتاج

•الحظر الذاتي: تهديد بقطع الإمدادات إذا تعرضت لأي عدوان.
•الإغراق بسعر الخصم: بيع النفط بأسعار أقل للسوق لدول مثل الصين والهند.
•استهداف منشآت الجيران: هجوم أرامكو ٢٠١٩ كلف إيران بضع ملايين، وكلف السعودية ١٠ مليارات دولار.

الغاز الطبيعي: معركة المستقبل

إيران تملك ثـاني أكبر احتياطـي غاز في العالم، لكنهـا لا تستطيع تصـديره بسبب العقوبات. تـراهن على "زمن ما بعد العقوبات" الـذي ستصل فيه خطوط الأنابيب إلى باكستان والهند وأوروبا. أمـريكا تصدر الغاز المسال إلى أوروبا بديلاً عن الغاز الروسي والإيراني، لكنه أغلى بنسبة ٣٠-٥٠٪.

المياه: الجبهة المنسية

سدود أفغانستان (بدعم أمريكي) على نهـر هلمند تقطع حصة إيران التاريخية من المـياه. والصناعات الملوثة ترمي مخلفـاتها في شط العرب. كذلك يتم استنزاف المياه الجوفية بمعدلات تفوق التغـذية الطبيعية. ويعتبر ملف المياه بمثابة "القنبلة البطيئة الانفجار" في الصراع.

دوران السعات القتالية: طاحونة الذخائر

"دوران السعات القتالية" هو ظاهرة استهلاك الأسلحة المتطورة في حروب طويلة، دون تحقيق أهداف استراتيجـية، مما يجبر الدول عـلى إعادة بناء ترسـاناتها أثناء القتال.ان القتال الحديـث باستعمال الصواريخ الحديثة يتم تجميعها يدويا وبالتالي يتم انتاجها ببطء(يتم انتاج حوالي ٦٠٠ صاروخ باتريوت سنويا و١٢صاروخ ثاد سنويا) بينما يتم استهلاكهم بسرعة لا تتناسب مع سرعة الانتاج(حسب زيلنسكي لقـد استهلكت امريكـا انتاج سنة واحـدة من صواريخ باتـريوت في يوم واحد).ان الانتاج لا يتنـاسب ابدا مع الاستهلاك وبـالتالي فان المـعارك الطويلـة سينتج عنه انخفاض المخزونات بسرعـة ووقت طويل لاعادة التصنيع(استهلكت امريكا نصف مخزونها من الصوا ريخ الدقيقـة في ٤٠ يوما بينما لاعادة المخزون فهي بحاجة الى ٣-٥ سنوات اذا توفرت الاموال والمواد الاولية وخاصة المعادن النادرة).

ان عدم قدرة الصنـاعة العسكريـة الامريكية على استـبدال الذخائـر المستهلكة في النـزاعات العسكرية الحالية وخـاصة في النزاع مع ايران أدى الى انخفاض خطير في مخزون الذخـائر في المخازن،وستتوقف الـصناعات العسكريـة عن تسليم الزبائن الذخائر لفترة طويلـة مما يؤدي الى تحول الزبائن الى مـصادر اخرى،وهذا سيؤثر على اسواق السلاح الامريكيـة المستقبلية وبالتالي النفوذ الامريكي (تم الغاء صفقة ٤٠٠ صاروخ تـوماهوك للـيابان كـان من المفترض تسلـيمها الى في ٢٠٢٨ ولكن الأولويـة الآن للجيش الامريكي فهل ستتوقف الـيابان عن امتلاك صواريخ بعيدة المدى أم ستلجأ الى مصدر اخر!).

أمـريكا وفخ الصـواريخ الباهظـة التكلفة: عنـدما أطلقت إيـران ٢٢ صاروخاً باليستياً (يناير ٢٠٢٠)، استخدمت أمريكا صواريخ "باتريوت" (٤ ملايين دولار

لكل صاروخ) لاعتراض صواريخ إيرانية قيمتها ٥٠٠ ألف دولار. النسبة ١:٨ .
أمريكا تنتج ٥٠٠ صاروخ باتريوت سنوياً، وفي حرب طويلة قد تستهلكها في ٣-٦ أشهر. والجيش الأمريكي يستهلك ذخائر دقيقة أسرع مما تستطيع صناعته تعويضها.

إيران وفخ الصواريخ البدائية (الكثرة تتفوق على الجودة): المسيرات الانتحارية (شاهد ١٣٦) تكلف ٢٠ ألف دولار، وتصنع في ورشات سرية تحت الأرض. أمريكا تنفق ٣ ملايين دولار لاعتراضها. النسبة ١:١٥٠ أما إيران فلا تحتاج إلى صواريخ دقيقة فائقة؛ وتحتاج فقط إلى إرهاق شبكة الدفاعات الأمريكية حتى تنهار.

سباق إنتاج الصواريخ الباليستية: إيران تمتلك أكبر ترسانة صواريخ باليستية في الشرق الأوسط، ويقدر عددها بنحو ٣,٠٠٠ صاروخ، وتنتج ١٠٠ صاروخ جديد سنوياً. أمريكا لا تنتج صواريخ باليستية لاستخدامها ضد إيران (لأنها لا تخوض حرباً مباشرة)، بل تنتج صواريخ اعتراضية باهظة الثمن بطيئة الإنتاج. الصاروخ الإيراني الرخيص يدور في ساحة المعركة أسرع من الصاروخ الأمريكي الباهظ الثمن.

استنزاف الخبراء والمقاتلين: إيران تفقد قادتها بالاغتيال (سليماني، زاهدي، فخري زاده). كل قائد يُغتال يحتاج سنوات لتعويضه. أمال أمريكا فتفقد جنودها بالانتحار والإصابات النفسية (٢٠ حالة انتحار يومياً بين قدامى المحاربين). الطرف الأكثر قدرة على إنتاج دفعة جديدة من الخبراء المخلصين قد يربح ميزة تراكمية.

الثورة التكنولوجية واستنزاف التفوق

طائرات الشبح مقابل المسيرات الرخيصة: طائرة إف-٣٥ تكلف ١٠٠ مليون دولار، لكنها تحتاج صيانة معقدة ومدرجات طويلة. المسيرة الإيرانية (شاهد ١٣٦) تكلف ٢٠ ألف دولار، يمكن إطلاقها من قارب صغير. هجوم أرامكو ٢٠١٩ كلف إيران ٥ ملايين دولار، بينما خسائر السعودية وأمريكا تجاوزت ١٠ مليارات دولار. نسبة ١:٢٠٠٠ .

الاستنزاف التكنولوجي

المفارقة الأكبر: لم يسبق في التاريخ أن استُنزف سلاح متطور بهذه السرعة. فمعظم الأسلحة تفقد فعاليتها بعد استخدامها للمرة الأولى، لأن العدو يدرس نقاط ضعفها ويستعد لتعطيلها في المراحل التالية من الحرب .فالسلاح الذي يحتاج الى سنوات لتطويره ومليارات من الدولارات وبعضها ترليونات تفقد اهميتها بعد استخدامها في حرب واحدة.وفي حرب ايران تم استخدام معظم الاسلحة الجديدة دون تحقيق

نـصر وبذلك ستفـقد مفاجـئات الحرب المـقبلة وسيكـون العدو على درايـة بكيفية التعامل معها.كذلك فـالكثير من الاسلحة التي لهـا نقاط ضعف(ليس هنالك سلاح بدون نقاط ضعف رئيسيـة او ثانوية)فعندما تـنكشف هذه النقاط بعد الاستخدام يـصبح السلاح ليس ذو جدوى ويفقـد المشترين الاهتمام به،مما يتـسبب بخسائر كبـيرة للشركـات المصنعـة والجيـوش التـي كانـت تعتمـد على هذا الـسلاح(تم تدمـيرمعظم منصات ثـاد وباتريوت في دول الخـليج بالصواريخ الايـرانية وبذاك فقدت امـريكا والدول الحليفـة الثقة بالمـظلة الصاروخـية الدفاعـية لانه تم تدمير مثيلاتها واصبح من كان يعتمد عليها للحماية مكشوفا.

الحرب السيبرانية: أمريكا تخترق، وإيران تعطل

الفضاء الإلكتروني هـو ساحة الاستـنزاف الأكثر خفـاءً واستمراريـة. إن أمريكا تمتلك قدرات هجومية سيبرانية هائلة، تجسدت في فيروس "ستوكسنت" (٢٠١٠) الذي دمّر ١,٠٠٠ جهاز طـرد مركزي في منـشآت نطنز الإيـرانية، بتكلفـة تطوير تجاوزت مئـات الملايين وبتنـسيق استخـباراتي معقـد. هذا النـوع من الهجمات يستغرق سنوات من التخطيط ويُستخدم كسلاح استراتيجي نادر.

في المقابل، طورت إيران قدرات سيبرانية أرخص وأكثر تكراراً، هدفها الأساسي ليس التدمير الكبير بل الاستنزاف اليومي:

•هجمات "**شمعون**" (٢٠١٢) مسحت بيانات ٣٠,٠٠٠ جهاز في شركة أرامكو السعودية، وأوقفت العمل في القطاع لأسابيع.

•هجمات على البـنوك الأمريكيـة (٢٠١٢–٢٠١٣) تسببت في تعـطيل الخدمات المصرفية وإرباك الأسواق.

•سلسلـة من الاختراقات لشبكـات الطاقة والميـاه في الولايات المتحدة (٢٠٢٣) كشفت ثغرات كبيرة وأجبرت الوكالات الفيدرالية على إنفاق ملايين لتطوير الحماية.

الفرق الجـوهري: الهجـوم السيبراني الإيـراني رخيص وسريع وقـابل للتكرار يومياً، بينما الهجوم الأمريكي مكلف ونادر. كل خبر عن هجوم إيراني جديد يخُرج تصريحات مـسؤولة، ويستدعـي اجتماعات طوارئ، ويخُصص ميـزانية إضافية. فأمريكا تستنزف في الدفاع، وهذه معادلة استنزاف خالصة.

الذكاء الاصطناعي: سباق الخوارزميات

الـذكاء الاصطناعي يغير قـواعد اللعبة بسرعـة. وتستخدمه أمريـكا لتحليل كميات هائلة مـن بيانات الاستخبارات، وتـطوير أنظمة قيـادة وتحكم أسرع، وتعزيز دقة الأسلحة الموجهة، وكـشف مواقع المنشآت الـصاروخية الإيرانـية. لكن إيران ترد بذكاء باستخدام تقنيات تضليل الخـوارزميات عبر توليد صور وفيديوهات مزيفة

(Deepfake) لقادة عسكريين، إحداث تشـويش ذكي على إشارات الرادار، وتغذية أنظمة العدو ببيانات مضللة ومزدوجة.

كـما تعمل إيران على أتمتـة المسيرات لتـطير في "أسراب ذكية" يـصعب اعتراضـها، وتطوير خوارزميات لتوجيه الصواريخ الباليستية بشكل يصعّب حساب مسارها. في حرب الاستنزاف التكنولـوجي، لا يحتاج الطرف الأضعف إلى سباق الريادة، بل فقط إلى تشويش رؤيـة المتفوق وإجباره على إهـدار موارده في تحديثـات مستمرة وغير مجدية في بعض الأحيان.

دورة الابتكار المستنزفة:

١ – إيران تطلق تكنولوجيا X رخيصة، محدودة الفعالية).

٢ – أمريكا تطور تكنولوجيا مضادة Y باهظة، دقيقة).

٣ – قبل اكتمال نشر Y، تـطور إيران تكنـولوجيا Z أقل تكلفـة، وتستغل نقاط ضـعف Y.

رابعاً: عودة أمريكا إلى نقطة الصفر

الاسـتنزاف التكنولـوجي هو "**لعبة الفقـراء لتعذيب الأغنياء**". أمـريكا يمكنها الصمود لعقـود، لكنها قد تمل من دفع فـاتورة اللعبة. وأخطـر ما في هذه اللعبة أن معظم الأسلحة فائقة التطـور تفقد جزءاً كبيراً من فعالـيتها بعد استخدامها الأول، لأن العدو يدرس نقاط ضعفها ويعدّ وسائل تعطيلها في المراحل اللاحقة من الحرب.

خامساً: القوة الناعمة والهيكلية

حرب السرديات: من يملك القصة يملك المستقبل

أمريكا تروي قصة: "**نظام إيراني قمعي، داعم للإرهاب، ساع لسلاح نووي**". وتستثمر مليارات الـدولارات في قنوات مثل "صوت أمريكا" و"راديو فردا"، وفي دعم منظمات المجتمع المدني الإيرانية، وفي إنتاج أفلام وثائقية عن جرائم النظام.

إيران تروي قصة: "**الشيطان الأكبر يـسعى لنهب ثرواتنا وإذلالنا**". وتستثمر في قنـوات مثل "برس تي في" و"هيـسبان تي في"، وفي إنـتاج مسلـسلات درامية تظهر انـتصارات الحرس الـثوري، وتستغل أي خـطأ أمريكي (أبـو غريب، غزة) لتضـخيم صورة "**الشيطان الغربي**".

الروايتان المـتصلبتان لا تـسمحان بالإجـابة، فتستـنزفان شرعيـة كلا النظامين تدريجياً. المنتصر هو من يستطيع إقناع شعبه بأن الألم الذي يتحمله ضروري.

الإغراق المعلوماتي والفوضى المعرفية

لم يعد الهـدف نشر "الحقيـقة"، بل نشر "الارتـباك". أمريـكا تتبع اسـتراتيجية "**الشفافية الانتقائية**" (تنشر تقـارير استخباراتية مفصلة، لكنها تخفي فشلها).

إيران تتبع استراتيجية "**نظرية المؤامرة**" (كل فضيحة أمريكية هو جزء من "مخطط صهيوني–أمريكي").

تكلفة إنتاج خبر كاذب هي صفر تقريباً (تغريدة من حساب وهمي). تكلفة فضحه قد تكون ملايين الدولارات. هذا يعني أن الطرف الذي يلجأ للتضليل المنهجي يستنزف الخصم بإغراقه في مواجهة خيالية.

استنزاف الصورة الداخلية الأمريكية: إيران تروّج خطاب "أمريكا الصهيونية"، وتستغل حالات الانتحار والإحباط بين المحاربين القدامى. والانقسام الحاد داخل المجتمع الأمريكي هو في حد ذاته انتصار لاستراتيجية إيران.

الاستنزاف القانوني والأخلاقي – (شرعنة اللاحسم)

العقوبات كحصار قضائي: أمريكا تحول تشريعاتها الداخلية إلى "**قوانين عالمية**" عبر تهديد أي بنك أو شركة تتعامل مع إيران بقطع صلتها بالنظام المالي الأمريكي. هذا هو "**الاستنزاف بالخنق القانوني**". القانون الذي أُعد لمعاقبة إيران على انتهاكات نووية (مزعومة) تحول إلى عقاب جماعي للشعب الإيراني.

إزدواجية المعايير:

•**الملف النووي:** إيران تُدان لأنها تخصب اليورانيوم (وهو حقها بموجب معاهدة عدم الانتشار). أما إسرائيل فتمتلك ترسانة نووية حقيقية، ولا أحد يفرض عليها عقوبات.

•**الاحتلال والعنف:** أمريكا وإسرائيل تحتلان أراض وتقصفان المدنيين باسم "حق الدفاع عن النفس". إيران تدعم حركات لتحرير هذه الأراضي، فتُصنف "داعمة للإرهاب".

•حقوق الإنسان: أمريكا تنتقد إيران لشنقها معارضي النظام، وتتغاضى عن معاملة حلفائها الجائرة لمواطنيها.

الفيتو كسلاح تجميد: أمريكا استخدمت الفيتو أكثر من ٤٠ مرة لحماية إسرائيل. أما روسيا والصين فتستخدمان الفيتو لحماية مصالحهما. ومجلس الأمن أصبح مسرحاً للعبث.

الغموض القانوني: الاتفاق النووي كنموذج للجمود المبرمج

نصوص الاتفاق النووي JCPOA 2015 تركت عمداً أموراً كثيرة غامضة (سرعة رفع العقوبات، وتعريف الانتهاك الجوهري للإتفاقية). وهذا الغموض متعمد وكل طرف يفسر النصوص لصالحه، وتندلع خلافات تفسيرية، ويتوقف تنفيذ الاتفاق. الغموض الذي كان أداة للوصول إلى اتفاق في ٢٠١٥ تحول الآن إلى سجن للدبلوماسية.

سادساً: التحالفات والسيناريوهات

(هندسة التحالفات في عصر الاستنزاف)

أمريكا وناتو الخليج: تحالف الأثرياء القلقين

منذ حرب الخليج ١٩٩١،كلفت القواعد العسكرية الأمريكية في الخليج مئات المليارات، وكلفت الخليجيين تريليونات. السعودية والإمارات تنفقان ١٥٠ مليار دولار سنوياً على الدفاع، ومع ذلك لم تستطع منع طائرات الحوثيين من قصف منشآت أرامكو. والتحالف مع الخليج أصبح يستهلك الشرعية الداخلية لأمريكا.

إيران ومحور المقاومة: استنزاف الوكلاء

إيران تنفق ٧٠٠ مليون دولار سنوياً على حزب الله (٠,١٪ من ميزانية الدفاع الأمريكية)، لكنه يربط جيشاً إسرائيلياً قوامه ١٥٠,٠٠٠ جندي. الحوثيون تلقوا ٢٠٠ مليون دولار، وكلفوا السعودية والإمارات ٢٠٠ مليار دولار. إذن إيران تستنزف أعداءها عبر وكلائها، وتستنزف نفسها أيضاً.

التحالفات السلبية: أعداء يجتمعون على كراهية مشتركة

- التقارب الإسرائيلي–الخليجي غير المعلن: تعاون استخباراتي ضد إيران، لكنه هش.
- التنسيق التركي–الإيراني–الروسي في سوريا (أستانا): أعداء تقليديون يجتمعون لإقصاء أمريكا من شرق الفرات.

أطراف صغرى كوسطاء ومتاجرين: تركيا (تبيع مسيرات لأوكرانيا وإيران معاً)، قطر (تستضيف قاعدة أمريكية وترعى مفاوضات مع إيران)، عُمان (الوسيط التاريخي). هذه الدول تبيع خدمات "**تهدئة النفوس**"، وتطيل أمد الصراع لتبقى ضرورية.

سابعاً: نتائج الحرب : من كان محقاً؟

لقد تحقق ما حذرت منه الاستشرافات عبر:

١– تدمير القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة، وانتقال القوات إلى الفنادق بعد تدمير ثكناتها.

٢– تدمير الكثير من المواقع العسكرية والاقتصادية للطرفين.

٣– سقوط الهيبة الأمريكية عالمياً بشكل غير مسبوق.

٤– عدم قدرة أمريكا –حتى باستخدام كامل قوتها الجوية – على هزيمة إيران أو إجبارها على التراجع. وهذا يُعد هزيمة استراتيجية للقوة العسكرية الأمريكية التي لم تستطع تغيير الواقع في أحد أهم المواقع الاستراتيجية في مجال الطاقة(نهاية القوة المطلقة).

٥- سيطرة إيران الفعلية على مضيق هرمز لسببين:

- يعتبر ممر أساسي للطاقة والصناعات البتروكيماوية والأسمدة.
- هو الممر الإلـزامي الوحيد لدخول الخليج بحـراً (لا يوجد ممر بديل، حتى لو كان المسار أطول كما في مضيق باب المندب أو ملقا).

٦- اضـطرار أمريكا إلى سحب الأنظمة الـدفاعية من كل العالم لحماية إسرائيل، مما أشعر حلفاءها أنهم لا يستطيعون الاعتماد عليها للدفاع عنهم، :

- لم تعد امريكـا القوة التي لا تُقهر فـانها لم تستطع هـزيمة ايران (فكيف ستحميهم من عدو أقوى من إيران كالصين وروسيا؟)
- ثبت أن إسرائيل هـي الحليف الأول، وأن أمريكـا مستعـدة للتخلي عن كل حلفـائها للدفاع عنها. وبـما أن اسرائيل لم تعد تستطيع الدفـاع عن نفسها وحدها، فـإن أي طرف يمكنه بـبساطة إشـعال الشرق الأوسط المضـطرب دائما لاستدراج القوة والموارد الأمريكيـة، وسحب الدفاعات الجوية من الحلفـاء (حتى لو كانوا قد دفعوا ثمنها) وتركهم بلا حماية.
- انهيار هيبة امـريكا،فقد اخطات امريكا بـالضغط الزائد على الدول بحيث اصـبحت كلفة الطـاعة اكبر بكثـير من كلفة التمـرد(كسرت الصين عملـيا الحصار المفروض على ايران بـارسال السفـن بدون اعلان وفي بدايـة ايار ٢٠٢٦ اصدرت السلطات الصينية بيـان رسمي دعت فيه الشركات الصينـية لعدم الالتزام بالقرار الامريكي مما يعتبر تحدي علني مباشر للهيبة الامريكية).

ثامناً: ما بعد الحرب - الخاتمة المُدارة

لم تنتـه الحرب الأمريكيـة-الإيرانية بـانتصار عـسكري لأي طرف، لكـنها كانت "الطـاحونة" التي استنـزفت موارد القطب الأوحد وهيـبته، مفسحة المجال لبروز عالم متعدد الأقطـاب تقوده القوى التي راقبت الاستنزاف من بعيد وانتظرت لحظة الانكسار.

لكن مـاذا بعد الحرب؟ لا تستطيع أمريكا ولا إيـران الاستمرار في الحالة الراهنة إلى الأبد.ف الخلافات بين الطرفـين عميقة جداً بحيث لا يمكن الاتفاق على حل. سيكون من الاسهل هو تجميد الوضع عبر الآتي:

أ- الاتفاق النووي:

- ستتوقف إيران عن التخصيـب حتى نهاية المفاوضات، في صيغة تمنح كل طرف ما يريد:
- بالنـسبة لأمريكـا: بعد وقف التخصـيب مؤقتاً دون فـترة زمنية محددة، ودون التزام منها بأي شيء،ستدّعي الانتصار عبر القول بانها اجبرت ايران

على ايقاف التخصيب .

– **إيـران:** ستحتاج ايـران لفترة زمنيـة لإزالة آثار الحـرب وتهيئة مـراكزها النووية للعمل مجدداً، دون التزام قانـوني بزمن وقف التخصيب، وبإمكانها وقف المفاوضات والعـودة إلى التخصيب عندما ترى الوقت مـناسباً. وبذلك تعتبر نفسها منتصرة.

ب–مضيق هرمز:

ستبقى الـسيطرة الفعليـة عليه إيرانيـة دون اعتراف أمريكي بـذلك، مما يمكّن كل طرف من الادعاء بالنصر.

ج–العقوبات الاقتصادية:

بصمود إيران أصبحت جزءاً من محور روسـيا–الصين، مما يقلل تأثير العقوبات. بعد عـدم قدرة أمريكـا على هزيمـة إيران،(ستفـقد امريكـا جزء كبير من هـيبتها وسيـنهار نظام الاحـادية القطبيـة وظهور عالم متعـدد الاقطاب) وستخفف دول الجوار من حصارها. كما أن الخلافـات الأمريكية–الأوروبية ستتصاعد، وسيأخذ الأوروبيون مساراً مختلفاً قد يؤدي إلى رفع العقوبات الاوروبية. وبهذه الأوضاع، يستطيع الطرفان ادعاء النصر:

- أمريكا: تقول إنها لم ترفع العقوبات.
- إيران: تقـول إن العقوبات الأمـريكية الأحاديـة ليس لها تـأثير على إيران لقلة المصالح الاقتصادية المشتركة.

د– الوجود الأمريكي في المنطقة:

إن تدمير القواعد العسكرية الأمريـكية يسمح إيران بالقول إنها أخرجت أمريكا من المنطقـة وحققت اهدافها. بيـنما ستقول أمريكـا انها لن تنسحب مـن المنطقة وإنها ستعيـد بناء قواعدها (وهو ما سيحتـاج وقتاً طويلاً في ظل غياب الأموال)، وبالتالي هي ستدعي الانتصارلعدم انسحابها من المنطقة كما يريد الايرانيين ولكنها بحاجة الى وقت طويل لاعادة البناء وخاصة مع صعوبة توفر الاموال.

الخاتمة: الاستنزاف كقدر مشترك

الحرب الأمريكيـة–الإيرانية لم تنه الخصمين عسكرياً، لـكنها كانت الطاحونة التي استنزفت موارد القطب الأوحد وهَـيبته، مفسحة المجال لبروز عالم متعدد الأقطاب تقوده القوى التي راقبت الاستنزاف من بعيد وانتظرت لحظة الانكسار.

في هذه اللعبة، الخاسر الأكبر ليس طهران ولا واشنطن، بل منطقة بأكملها.

الدول تتعلم أن الحرب لا تحتاج إلى إعلان، وأن الاستنزاف يمكن أن يستمر لأجيال دون أن يشعر أحد بمروره.

والسؤال الأكبر: هل سيبقى الإيرانيون صامدين ؟ أم سيبقى الأمريكيون متعبين حتى ينسحبوا ويتركوا المنطقة لفوضى لا تحمد عقباها؟
الكرة الآن في ملعب التاريخ، وليس في أيدي القادة.